معهد الدين القيم

باشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس

(شرح السنة للبربهاري)

شرح الشيخ (علي الرملي) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (21)

التاريخ: الأحد 13/ربيع الأول/1441 هـ

10/نوفمبر/2019 م

قال المؤلف رحمه الله: ([114] وإذا وَقَعَتِ الفِتْنَةُ: فَالْزَمْ جَوْفَ بَيْتِكَ، وَفِرَّ مِنْ جِوارِ الفِتْنَةِ، وإيَّاكَ والعَصَبِيَّةَ، وكُلُّ ما كانَ مِنْ قِتالٍ بينَ المُسْلمينَ على الدُّنْيا: فَهُوَ فِتْنَةٌ؛ فَاتَّقِ اللهَ وحده لا شريك له، ولا تَخْرُجْ فيها، ولا تُقاتِلْ فيها، ولا تَهْوَ، ولا تُشايِعْ، ولا تُمايِلْ، ولا تُحِبَّ شيئاً مِنْ أُمورِهِمْ؛ فإنَّهُ يُقالُ: مَنْ أَحَبَّ فِعالَ قَوْمٍ - خَيْراً كان أو شَرّاً - كانَ كَمَنْ عَمِلَهُ. وَفَّقَنا اللهُ وإياكم لمرضاته، وجَنَّبَنا وإيَّاكم مَعْصِيَتَهُ)

يعني إذا حصلت فتنة؛ والمقصود بالفتنة: القتال بين المسلمين على الدنيا أو الذي يلتبس الحق فيه بالباطل، أو يكون المتقاتلون من المسلمين كلهم على باطل ويتقاتلون على باطل، كالقتال للعصبية أي تعصباً لقبيلة أو حزب أو جماعة أو انتصاراً لهواك، فالنبي ﷺ سئل: الرجل: يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»، وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَدْعُو عَصَبِيَّةً، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ». كل هذا من قتال الفتنة الذي يجب اعتزاله ولا يجوز للمسلم أن يشارك فيه، فهو قتال على الهوى لا لله.

وليس من قتال الفتنة القتال للدفاع عن الإسلام والمسلمين وحرمتهم وأمنهم وأموالهم.

فإذا استطاع اعتزال قتال الفتنة بالبقاء في بيته وإغلاق بابه عليه فهذا المطلوب، وإلا يفر من المكان كله كأن ينتقل إلى بلد آخر. المهم أن يعتزل ولا يشارك في الفتنة ويذهب إلى مكان يبعده عن المشاركة فيها.

لحديث أبي موسى الأشعري عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الفِتْنَةِ: «كَسِّرُوا فِيهَا قَسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا فِيهَا أَوْتَارَكُمْ، وَالزَمُوا فِيهَا أَجْوَافَ بُيُوتِكُمْ، وَكُونُوا كَابْنِ آدَمَ».

وجاء في حديث أبي ذر قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ فِيهِ «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ يَكُونُ الْبَيْتُ فِيهِ بِالْوَصِيفِ؟» يَعْنِي الْقَبْرَ، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، – أَوْ قَالَ: مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ –، قَالَ:

«عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ» – أَوْ قَالَ: «تَصْبِرُ» – ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا أَبَا ذَرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ أَحْجَارَ الزَّيْتِ قَدْ غَرِقَتْ بِالدَّمِ؟» قُلْتُ: مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا آخُذُ سَيْفِي وَأَضَعُهُ عَلَى عَاتِقِي؟ قَالَ: «شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذَنْ» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «تَلْزَمُ بَيْتَكَ»، قُلْتُ: فَإِنْ دُخِلَ عَلَيَّ بَيْتِي؟ قَالَ: «فَإِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ ثَوْبَكَ عَلَى وَجْهِكَ يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ».

ولا تقاتل: أي لا تشارك في القتال.

ولا تهو: أي لا يميل قلبك إليها.

ولا تشايع ولا تمايل: أي لا تؤيد وتميل إلى طرف على طرف.

ولا تشاركهم حتى بالمحبة القلبية؛ لأنك بذلك تأخذ حكمهم؛ لقول النبي ﷺ: "ولكن من رضي وتابع".

قال ابن عبد البر: يقولون من رضي بالفعل فكأنه فعله.

قال الحسن - رحمه الله -: إنما عقر الناقة رجل واحد فعمهم الله بالعقوبة لأنهم عموا فعله بالرضى.

انتهى

قال المؤلّف . رحمه الله: ([115] **وأَقِلَّ النَّظَرَ في النُّجومِ؛ إلّا ما تَسْتَعينُ بِهِ على مواقيتِ الصَّلاةِ، والْهَ عمّا سِوى ذلكَ؛ فَإِنَّهُ يَدْعو إلى الزَّنْدَقَةِ**)

النظر في النّجوم: النّجوم هي النّجوم التي ترونها، والناس تنظر فيها لسببين:

- الأوّل: يستدلُّون بها على الحوادث الأرضية؛ ينظر في النّجوم؛ فيقول لك سيحدث كذا ولن يحدث كذا، سينزل المطر يوم كذا، لن ينزل المطر يوم كذا، سيولد لفلان ولد، لن يولد لفلان ولد؛ وهكذا.

وهذا العلم الذي يسمّيه العلماء علم التّأثير؛ يعني أنّ النّجوم تؤثّر فيما يحدث على وجه الأرض، وهذا يستعمله الكُهّان الذين يدّعُون معرفة الأمور الغيبيّة؛ بالنّظر إلى النّجوم، وهذا نوع من أنواع الكهانة، والكهانة هذه كفر؛ لأنها ادِّعاء علم الغيب، وادّعاء علم الغيب هذا

كفر؛ ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[1]، وإذا ادّعى الشخص أنّه يعلم الغيب؛ فقد نازع الله سبحانه وتعالى فيما يختص به، فالكاهن كافر؛ لأنّه مُدّعٍ لعلم الغيب؛ فلذلك قال: "**فإنّه: يدعو إلى الزّندقة**"،

والزّندقة هي النفاق؛ كفر!

هذا النّوع الأوّل من أنواع النّظر إلى النّجوم.

- والنّوع الثّاني وهو ما يسمّى بعلم التّسيير؛ بأن تعرف منازل القمر، وتعرف مجاري الشّمس في السّنة، يعني مثلاً: تنظر إلى النّجوم فتعرف الشمال من الجنوب من الشرق من الغرب، تعرف الشّمس كيف تسير؛ والمراد من هذا: هو الاهتداء؛ أن تهتدي إلى الطريق، وهذا العلم جائز؛ لأنّه استعانة بهذه الأشياء كي تدلُّك على الطريق، ومن أسباب خلق الله سبحانه وتعالى للنجوم هو هذا الأمر؛ أن تكون هداية ومواقيت للنّاس: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[2]، وقد قال أحد علماء السّلف قديماً: النّجوم لها ثلاث فوائد. بمعنى كلامه.:

- الأولى: زينة للسّماء كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[3]؛ هذه الفائدة الأولى.

- الفائدة الثّانية: رجوماً للشياطين؛ يعني يرجم الله سبحانه وتعالى بها الشّياطين؛ كما جاء في الحديث: "أنّ الشّياطين ترْتقي إلى السّماء يصعد بعضها على بعض كي تسترق السّمع، ثمّ يرميها الله سبحانه تعالى بالشُّهُب؛ بهذه النّجوم؛ فإمّا أن يسترق الكلمة فيلقيها لمن بعده قبل أن يلحقه الشهاب، أو يلحقه الشهاب قبل أن يلقي الكلمة، يعني قد يتمكن من سماع الكلمة ويمرّرُها لمن بعده وقد لا يتمكن من تمريرها؛ فيأتيه

1- [النمل:65]

2- [البقرة:189]

3- [فصلت:12]

الشّهاب قبل ذلك؛ كما جاء في الأحاديث الصّحيحة؛ فهي رجومٌ، يعني هذه النّجوم هي رجوم للشّياطين، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾[1].

- الفائدة الثالثة: علامات يُهتدى بها في الأسفار، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[2].

هذه هي الفوائد الثلاث، ومن أراد أن يأخذ منها فائدة رابعة؛ فقد ضلّ الطّريق؛ لم يردْ للنّجوم غير هذه الفوائد المذكورة في كتاب الله تبارك وتعالى.

قال المؤلّف .رحمه الله .: ([116] وإيَّاكَ والنَّظَرَ في الكلامِ، والجُلوسَ إلى أَصْحابِ الكَلامِ)

ما هو الكلام؟

الكلام هو تقرير المسائل العقائديّة بعلم المنطق والكلام- الأخذ والرّد ..

وقواعد منطقية قرّروها بالعقل، وصاروا يتجادلون بها، فلمّا قرّروا المسائل العقليّة بالعقل، وصاروا ينظِّرون لها بالكلام؛ سُمِّي علم الكلام؛ فهو تقرير للمسائل العقائديّة بالعقل.

واختلف العلماء في تسميته بعلم الكلام؛ بعضهم قال لهذا؛ لأنّهم يقرّرون المسائل من خلال الكلام؛ يتكلّم ويُبرهن بأدلّة عقليّة؛ حتّى يصل إلى نتيجتِه،

والبعض قال: سُمِّي علم الكلام لأجل عقيدة كلام الله سبحانه وتعالى؛ قالوا: هذه العقيدة كانت من أعظم العقائد التي خالف فيها أهل البدع أهل السنّة؛ فسمّي بعلم الكلام لأجل كلام الله تبارك وتعالى؛ هذا خلاف بين العلماء في سبب التسمية.

المهُم أنّ علم الكلام هو تقرير المسائل العقائدية بالعقل؛ هذا هو المقصود من علم الكلام.

فهؤلاء العقلانيون لا يبالُون لا بكتاب ولا بسنّة في تقرير المسائل العقائديّة، فعندهم: الأساس في تقرير العقائد هو العقل، ويُحكّمُونه على الله سبحانه وتعالى، ويَحكُمون به على الله سبحانه وتعالى؛ فلذلك ضلّلهم علماء السّلف وكانوا يحذّرون منهم ليل نهار؛ حتّى إن هناك كتباً مُؤلَّفة

1- [الحجر:18]

2- [الأنعام:97]

في ذمّ الكلام وأهله؛ كتب أُلّفت خصّيصاً لهذا الغرض، وكلام السّلف في ذم الكلام كثير؛ منهم الإمام الشّافعي رحمه الله، والإمام أحمد وغيرهم.

فهنا يحذرنا المؤلف من هذا الطّريق؛ فيقول: (**وإيّاك والنّظر في الكلام**) لا تنظر إلى كُتبهم، ولا تبالي بها، ولا تقرأ فيها؛ كتب الأشاعرة، كتب المُعتزلة، كتب الجهميّة، كتب الماتريدية، كتب الكلّابيّة؛ كلها من هذا القبيل، كلها بابها واحد، هذه الجماعات كلّها علمهم الأصلي هو علم الكلام، قواعدُهم وأصولهم هي قواعد المتكلّمين وأصولهم، التي أخذوا الكثير منها من علم اليونان أصلاً.

قال: (**والجلوس إلى أصحاب الكلام**):

هنا المؤلّف يحذّرك من مخالطة أهل البدع، كل ما قدَّمناه سابقاً في بداية هذه الدّروس عن مخالطة أهل البِدع؛ وجوب هجرهم، وجوب بُغضهم، وجوب عدم السّماع لهم، كلام السلف الذي سُقناه في ذلك؛ كلّه ينطبق على هذه الفقرة هذه أخص؛ هذه تتكلّم عن أهل الكلام؛ هم صنف من أهل البدع، أهل البدع كثير؛ منهم أهل الكلام.

وما قدّمناه من كلام السلف رضي الله عنهم في وجوب هجر أهل البدع، وعدم السّماع لهم؛ ينطبِق على ما ذكره المؤلّف في هذه الفقرة.

قال رحمه الله: (**[117] وعَلَيْكَ بالآثارِ، وَأَهْلَ الآثارِ؛ وإِيَّاهُمْ فَاسْأَلْ، وَمَعَهُمْ فَاجْلِسْ، وَمِنْهُمْ فَاقْتَبِسْ**)

يبين المؤلّف لك الآن الحق من الباطل، حذّرك من أهل الضلال وأرشدك إلى أهل الحق؛ تسمع لِمن؟ وتفرُّ ممّن؟ تسمع لِأهل الآثار؛ الذين يقولون: قال الله تبارك وتعالى، قال رسول الله ﷺ، قال أبو بكر، قال عمر، قال عثمان، قال عطاء، قال سعيد، قال الشافعي، قال أحمد، قال عبد الله بن المبارك، قال سفيان الثّوري، قال الأوزاعي، قال اللّيث بن سعد؛ هؤلاء هم أهل الآثار، يأخذون آثار الصّحابة آثار التّابعين، آثار أتباع التّابعين؛ السّلف الأوّل ومن سار على نهجهم، لا يخترعون، لا يبتدعون من عندهم، يتّبعُون الأثر ما وجَدوا إلى ذلك سبيلاً، ولا يسيرُون إلى الاجتهاد وإعمال الرّأي؛ إلّا عندما تضِيق بهم السُّبل؛ كما قال الإمام الشّافعي رحمه الله عندما سئِل عن القياس؛ الرّأي قال: "ذلك عندنا بمنزلة أكل أهل الميتة" أو بمعنى

كلامه؛ أنّه عند الضّرورة؛ الرّأي والقياس إنّما تسير إليه عند الضرّورة؛ متى الضرورة هذه؟ عندما تفقد دليلاً من الكتاب أو من السنّة أو كلاماً لِإمام يُقتَدى به كأبي بكر وعمر وعثمان؛ وهؤلاء أئمة الإسلام، فإذا لم تجدْ شيئاً من هذا القبيل؛ عندئذ يمكن أن تجتهد؛ إذا كنت أهلاً للاجتهاد.

وأنا نصيحة مني خاصة: أنّك لو وجدت إماماً قريباً منك، أفتى بمسألة؛ فحمِّلها له، وأفتِ بها، وتوكّل على الله؛ بما أنّ معه دليلاً في مسألته؛ يعني لو ما حدثت حادثة جديدة، أفتى بها الشيخ عبد العزيز بن باز، أفتى بها الشيخ ابن عثيمين، أفتى بها الشّيخ الألباني، أفتى بها الشيخ مقبل؛ خلاص أفتِ بهذا وامشِ، إذا اختلفوا؛ فانتقِ بناءً على الدليل، لم يختلفوا، أفتى بها واحد؛ خلاص؛ أفت بما كان عليه.

تعجبني كلمة للإمام الطبري رحمه الله، كان يقرّر مسائل في العقيدة في كتابه "**صريح السنة**"، وهي رسالة صغيرة للطّبري في العقيدة، كان يقرّر المسائل العقائدية، فلما جاء في مسألة، أظنها القول باللفظ في القرآن أو الوقف في ذلك- نسيت بالضبط- المهم مسألة عقائدية كهذه؛ قال: "بحثت فلم أجِد لِأحد قولاً في هذه المسألة إلّا للإمام أحمد"- والطّبري طبعاً قريب جدّا من الإمام أحمد-؛ قال: "بحثت فلم أجد لأحد قولاً في هذه المسألة؛ إلّا للإمام أحمد وكفى به"، واتّبع الإمام أحمد في ذلك؛ هذا معنى اتّباع آثار السلف؛ ألّا تقُول قولاً ليس لك فيه إمام؛ هذه القاعدة ذكرها الإمام أحمد رحمه الله: لا تقل بقول ليس لك فيه إمام؛ هذا السّبيل منجاة لك من الاغترار بنفسك أوّلاً، وأن تغتَر بعلمك.

ثانيا: أن تزيغ وتضلّ بدعوى الاجتهاد، فأنت إذا بقيت مع هؤلاء؛ بقيت على الطّريق سالماً؛ فديننُا دين اتّباع كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: "اتّبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتم"؛ كُفِيتَم المُؤنة؛ فهم قد تحمَّلوا المسؤولية واجتهدوا ووصلوا؛ لماذا أنت تُحمّل نفسك ما ربما تكون عواقبه عليك وخيمة؛ فلا تُحمِّل نفسك أكثر مما تقدر عليه؛ حمِّل المسألة لمن قبلك: "اتبع ولا تبتدع"، ولا تقُل بقول ليس لك فيه إمام.

قال: (**وعليك بالآثار**) كلّ ما جاء عن النبي ﷺ، وعن أصحابه فهي من الآثار.

(**وأهل الآثار**) الذين يتبعون هذا المنهج، هذه القضية ليست في العقيدة فقط، تجد أناساً في

العقيدة- وتجد أيضاً في الفقه- أناساً أصحاب آثار، وأناساً أصحاب رأي، كذلك في العقيدة أصحاب رأي، وأصحاب أثر؛ فأنت دائماً تجتنب أصحاب الرّأي وتتّجه إلى أهل الأثر، انظروا إلى التّرمذي رحمه الله في كتابه "**الجامع**" عندما يذكر يقول: قال أصحابنا كذا وكذا، وأمّا أصحابنا فعلى كذا؛ **من هم أصحاب التّرمذي**؟

الترمذي مالَه مذهب، شافعي، مالكي، حنبلي؛ لا؛ **أصحابه هم أهل الحديث**، فعندما يسمّي؛ يسمّي أهل الحديث، أهل الأثر، يسمّي الشّافعي، يسمّي مالكاً، يسمّي أحمد، يسمّي البخاري؛ هؤلاء الذين يسمّيهم التّرمذي رحمه الله؛ هؤلاء هم أصحابه، وهؤلاء هم أصحابنا إن شاء الله؛ (**وإيّاهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس**).

قال المؤلّف . رحمه الله . : (**[118] واعْلَمْ أَنَّه ما عُبِدَ اللهَ بِشَيْءٍ مِثْلَ الخَوْفِ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى، وطَرِيقِ الخَوْفِ والحُزْنِ والشَّفقاتِ والحَياءِ مِنَ اللهِ تبارك وتعالى**)

أي: يُعبد الله سبحانه وتعالى بالخوف كما يعبد بالمحبة، في هذه الفقرة ردٌّ على الصّوفية وغُلاتهم، الذين يقولون بأنّ الله يُعبد بالمحبّة فقط لا نعبده خوفاً ولا ورجاءً؛ وهذا ضلال عظيم جداً؛ فنحن نعبد الله سبحانه وتعالى محبّةً وخوفاً ورجاءً؛ هذه طريقة أهل الإسلام وأهل السنّة، الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، أمر الله سبحانه وتعالى بعبادته؛ كيف؟

خوفاً وطمعاً؛ نخاف من عذابه، نخاف من ناره، نخاف من غضبه، ونطمع بجنّته، ونطمع بنعيمِه؛ هكذا أمر الله سبحانه وتعالى، وهكذا يكون المؤمن، لا تقول أنا زاهد بخيراتك يا ربّ، أنا لا أريد منها شيئاً، فقط أريد أن أعبدك والله محبّة؛ هذا الكلام باطل؛ بل تخاف من الله سبحانه وتعالى، وترغب في خير الله سبحانه وتعالى، وترغب في نعمائه

ولا تزهد فيها، وتحب الله سبحانه وتعالى؛ فتعبد الله خوفاً، ومحبةً، وتعظيماً؛ هذه طريقة أهل الإسلام في هذا، وقال الله تعالى مُثنياً على أهل الإيمان؛ قال: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ

1- [الأعراف:56]

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[1]؛ هكذا أمر الله سبحانه وتعالى، وهذه طريقة أهل الإيمان.

قال المؤلف: ([119] واحْذَرْ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ مَنْ يَدْعُو إلى الشَّوْقِ والمَحَبَّةِ، وَمَنْ يَخْلُو مَعَ النِّساءِ وَطَرِيقِ المَذْهَبِ؛ فَإِنَّ هؤلاءِ كُلُّهُمْ على الضَّلالَةِ)

انظر! يوجّهُك إلى طريق الحق، ثمّ يحذرك من طريق أهل الباطل؛ من الذين يدعون إلى الشّوق والمحبّة؛ هؤلاء هم الصّوفيّة الذين يدَّعُون أنهم يعبدون الله محبّةً فقط وشوقاً إليه فقط، ويتركون باقي ما أمر الله سبحانه وتعالى به، وهم كَذَبَةٌ في دعواهم.

قال: (ومَنْ يخلو مع النّساء) من هذا الذي يخلو مع النساء؟!

هم الصّوفية، والصوفيّة درجات؛ عندهم من الدرجات: أن يصل الإنسان إلى درجة تسقط عنه جميع التّكاليف؛ يفعل ما يُريد: يترك الصلاة، يترك الصيام، يترك الزّكاة، يزني، يسرق؛ يعمل ما يريد! خلاص قد سقطت عنه التّكاليف؛ وهذه الطّائفة ما زالت موجودة إلى اليوم؛ هذا من طُرق الصّوفيّة، يقول لك: (يخلو مع النّساء)؛ عندهم الشيخ هذا يجلس مع المرأة، يصافحها يخلو بها؛ ما عندهم أيّ مشكلة في هذا؛ هذه طريقتهم؛ أخوة، عندهم يسمُّونها أخوّة في الإسلام، إذا آخاها وآختْه؛ يفعلون مع بعض ما يشاءون.

قال: (ومن يخلو مع النّساء وطريق المذهب؛ فإن هؤلاء كلّهم على الضّلالة)

فيحذّر المؤلّف رحمه الله من طريقة الصّوفية؛ الطّريقة المخالفة لشرع الله سبحانه وتعالى، (وطريق المذهب) الذي هو طريق مذهب الصّوفية.

ودين الصّوفية مبني على أساسين:

- الأساس الأوّل: تعظيم الأولياء تعظيمَ عبادة،

يعني عبادة الأولياء؛ فتجدهم يعبدون القبور ويخضعُون ويتذلّلون بين أيدي أوليائهم؛ دينُهم يُبنى على هذا: الغلو في الأولياء، وهذا حذَّرَنا منه ربنا تبارك وتعالى في قوله: ﴿يا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا

1- [السجدة:16]

تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[1]، وحذَّر منه الرّسول ﷺ ؛ فقال : "إيّاكم والغلوَّ في الدين فإنما أهلك الذين من قبلكم الغلو في الدين"[2]؛ النّصارى كيف هلكوا؟ غلوا في عيسى عليه السلام؛ فهلكوا، قوم نوح أصلا كيف هلكوا؟ غلوا في الأولياء، وصنعوا لهم الأصنام، ثمّ عبدوا هذه الأصنام؛ وهذه طريقة الصّوفية.

- الأمر الثّاني الذي يُبنى عليه أساس الصّوفية: هو الابتداع والاختراع في دين الله؛

فليس عندهم شيء اسمه اتباع الكتاب والسنّة في التعبّد؛ يفتحون الباب على مِصراعيْه؛ يتعبّد الواحد منهم كما يشاء؛ فلذلك تتابعت الأحوال عندهم، حتى وصلوا إلى ما وصَلُوا إليه الآن؛ صار عندهم دينٌ جديد لا يُعرف في الكتاب ولا في السنّة له أصل؛ هذا هو دين الصّوفية، هذا معنى الدين الجديد، ليس معنى الدّين الجديد: أن تأتي لشخص بسنّة لا يعرفها؛ ويقول لك: والله أتيتني بدين جديد! هو جديد عليه؛ لكنه قديم عند الله سبحانه وتعالى، أنزله على نبيّه ﷺ، فأنت حُكمك على الدين بالجديد والقديم يكون على حسب الكتاب والسنة، فإذا لم تجد له أصلاً في الكتاب والسنةِ؛ فهو دين جديد، وإذا وجدْت له أصلاً في الكتاب والسنة؛ فهو دين قديم وليس بجديد.

قال المؤلف رحمة الله: (**[120] واعْلَمْ أَنَّ الله تعالى دَعا الخَلْقَ كُلَّهُمْ إلى عِبادَتِهِ، ومَنَّ مِنْ بَعْدِ ذلكَ على مَنْ يَشاءُ بالإِسْلامِ تَفَضُّلاً مِنْهُ**)

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون﴾[3]، إذاً خَلْقُ الله سبحانه وتعالى للبشر وإيجادهم في هذه الدنيا، هم والجن؛ لِحكمة: وهي أن يعبدوا الله سبحانه وتعالى، ليَخْضعوا ويتذلّلوا لله تبارك وتعالى؛ هذه الحكمة التي خُلقتَ أنت لأجلها، فإذا كنت عاقلاً؛ تصرِف نفسك إلى هذا الحكمة، ولا تصرف نفسك عنها، ولا تله في الدنيا؛ فالدنيا هي التي تشغلُك عن عبادة الله؛ لذلك يحُثُّنا الله سبحانه وتعالى على عبادته، ويأمرنا، ويحذّرنا من الدّنيا ومن الاغترار بها؛ لأن الدّنيا هي التي تُلهيك عن عبادة الله تبارك وتعالى.

1- [النساء:171]

2- تقدم تخريجه

3- [الذاريات:56]

أنت إذا تأمّلت في كتاب الله، وفي سنّة رسول الله ﷺ؛ تجد أن الله يأمرك بما يريد وينهاك عمّا لا يريد ممّا يضاد ما يريد؛ يعني: أمرنا بعبادته ونهانا عن الدّنيا والاغترار بها، أمرنا بتوحيده ونهانا عن الشرك به، أمرنا بطاعته ونهانا عن معصيته؛ هذا هو دين الله؛ هذا دين الله كاملاً؛ تجدُ المأمور به أنت: هو توحيد الله، ويَنقُض ذلك الشرك، مأمورٌ بطاعة الله، تنقُضه المعصية، مأمور باتّباع سنّة النّبي ﷺ تنقضُه البدعة المُحدثة، لو فتّشت في الكتاب والسنّة؛ وجدت أوامر الله كلّها من هذا النوع، ونواهيه كلّها من هذا النّوع؛ ملخص.

قال: (**دعا الخلق كلّهم إلى عبادته، ومَنَّ مِنْ بعد ذلك على من يشاء بالإسلام تفضُّلاً منه**)

أي: هدى الله سبحانه وتعالى من شاء من خلقه، ووفّقَه لعبادته ولطاعته، ولم يهْد من شاء من خلقه؛ يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء، وأنت تشغل نفسك بما أمرك الله سبحانه وتعالى به.

قال رحمه الله: (**[121] والكَفُّ عَنْ حَرْبِ عَلِيٍّ ومعاوية وعائشة وطلحةَ والزُّبَير رحمهم الله جميعاً، وَمنْ كانَ مَعَهُمْ، ولا تُخاصِمْ فيهِمْ، وكِلْ أَمْرَهُمْ إلى الله تَبارَكَ وتعالى؛ فإنّ رسول الله ﷺ قال: "إيَّاكمْ وذِكَرَ أَصْحابي وأصْهاري وَأَخْتاني"، وقوله: "إن الله تبارك وتعالى نَظَرَ إلى أَهْلِ بَدْرٍ؛ فقال: "اعْمَلوا ما شئتم؛ فإنّي قَدْ غَفَرْتُ لكم"**)

هذا من المؤلّف توجيهٌ إلى ما يجب عليك أن تفعله وأن تعتقده في الفتنة التي وقعت بيْن الصّحابة، في وقعة الجمل؛ كانت المعركة بين علي بن أبي طالب من جهة، وعائشة وطلحة والزُّبير من جهة ثانية، وكانت هناك حروب أخرى ما بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من جهة، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من جهة ثانية، وكانت بينهم مَعارك.

ما هو مَوقِفك تجاه ما شجر بين أصحاب النّبي ﷺ؟

يقول المؤلف: (**والكفُّ عن حرب عليّ ومعاوية وعائشة وطلحة والزُّبَير ومن كان معهم، ولا تُخاصم فيهم**)

لا تفتح مجالاً للجدال؛ من الّذي كان مُحقّاً منهم؟ هذا أخطأ وهذا ما أخطأ، هذا ما كان يجب عليه أن يفعل كذا وهذا كان يجب أن يفعل كذا؛ وربّما تصل بك الأمور إلى: فلان فاسق وفلان

ليس بفاسق، وربّما: فلان كافر وفلان ليس بكافر؛ كما حصل مع بقيّة الفرق! الواجب عليك هو أن تلتزم بقول النّبي ﷺ: "إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا"؛ هذا هو الواجب عليك.

وما ذكره المؤلّف من حديث: لا يصح؛ لكن حديث: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا"؛ يُغني عنه؛ إذاً الواجب عليك أن تسكُت عند ذِكْر أصحاب النبي ﷺ؛ لهم من السَّبقِ، ولهم من الخَير، ولهم من شهادة النّبي ﷺ لهم بالخير؛ ما يُلزمُك بالسّكوت وعدم الكلام فيهم؛ وكلّ النّاس خطّاء وخير الخطّائين التوّابون.

نعم كل النّاس لهم أخطاء؛ ربّما يكون بينهُم من أخطأ؛ اجتهد وأخطأ، وبعضهم اجتهد وأصاب، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر، ومن اجتهد وأصاب فله أجران، فنحن نعلم أن هؤلاء ما كان همُّهم الدّنيا وما كانوا يريدونها؛ وإنّما كلٌّ منهم قد اجتهد رأيه؛ بعضهم كان يريد دمَ عثمان، وبعضهم كان هو الخليفة؛ قد بويع له بالخلافة؛ فالطرف الآخر لا ينازعه في ذلك؛ ولكن ما أرادوا أن يتنازلوا حتّى يأخذوا بِدَم عثمان؛ لأنّ الذين قتلوا عثمان مع الجماعة الثّانية؛ وحصل بسبب ذلك خلاف، ونشب القتال بينهم.

على كلّ حال؛ نحن نقول: كلّهم مجتهد؛ بعضهم اجتهد فأصاب فله أجران، وبعضهم اجتهد وأخطأ فله أجر؛ ويغفر الله سبحانه وتعالى للجميع.

لمّا سُئِل السّلف رضي الله عنهم عن ذلك- عن هذه الفتن التي وقعت بين الصّحابة-؛ قالوا: تلك فتنة قد صان الله سبحانه وتعالى عنها سُيُوفنا فلْنصُنْ عنها ألسنتنا، ونسكت؛ لا نتدخّل في ذلك؛ كلّهم رضي الله عنهم وأرضاهم؛ علي بن أبي طالب ممن قال فيه النّبي ﷺ:"رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله"[1]؛ ماذا تريد بعد ذلك؟!

عائشة رضي الله عنها التي قال فيها النّبي ﷺ بأنها زوجته في الدّنيا والآخرة[2].

1- أخرجه البخاري(3009)، ومسلم(2404) عن سهل بن سعد

2- أخرجه الترمذي(3880) عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ جِبْرِيلَ، جَاءَ بِصُورَتِهَا فِي خِرْقَةِ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ". وأخرج البخاري(7101) عن أبي وائل، قال: قام عمار، على منبر الكوفة، فذكر "عائشة، وذكر مسيرها، وقال: «إنها زوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكنها مما ابتليتم". وفي رواية عنده (7100): عبد الله بن زياد الأسدي، قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، بعث علي عمار بن ياسر وحسن بن علي، فقدما علينا الكوفة، فصعدا المنبر، فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه، وقام عمار أسفل من الحسن، فاجتمعنا إليه، فسمعت عمارا، يقول: «إن عائشة قد سارت إلى البصرة، ووالله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم، ليعلم إياه تطيعون أم هي"

وطلحة والزّبير اللذَيْنِ قال فيهما النبي ﷺ:"طلحة في الجنّة والزّبَير في الجنّة"[1]، وطلحة والزّبير وعلي رضي الله عنهم كانوا من أهل بدر الذين قال فيهم النّبي ﷺ:"اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم".

أنت أيش دخلك بينهم؟!

وكلمة جميلة لِأحد السلف عندما جاء أحدهم وسأله؛ قال: ماذا تقول فيما حصل بين علي ومعاوية؟ ومعاوية قد ظلم عليّاً- أو بهذا المعنى-!

فقال له: "ربّ معاوية ربٌّ رحيم وخصمُ معاوية خصم كريم؛ ما أدخلك أنت بينهم في الموضوع؟" ما دخلك في هذا الكلام؟ ما لَك علاقة؛ هؤلاء أصحاب النّبي ﷺ؛ قد شهِد لهم النّبي ﷺ بالخير، وشهد لهم ربّنا تبارك وتعالى قبل ذلك بالخير؛ إذاً انتهينا، ما لنا علاقة نحن فيما وقع بينهم، وقوله: "إنّ الله تبارك وتعالى نظر إلى أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فإنّي قد غفرت لكم"؛ الحديث هذا في "الصّحيحيْن".

قال رحمه الله: ([122] واعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّهُ لا يَحِلُّ مالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ؛ إلّا بِطِيبَةٍ مِنْ نَفْسِهِ، وإنْ كانَ مَعَ رَجُلٍ مالٌ حَرامٌ؛ فَقَدْ ضَمِنَهُ، لا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ منْهُ شيئاً إلّا بِإذْنِهِ؛ فَإِنَّهُ عسى أَنْ يَتوبَ هذا، فَيُريدُ أَنْ يَرُدَّهُ على أَرْبَابِهِ؛ فَأَخَذتَ حَراماً)

قال: (واعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّهُ لا يَحِلُّ مالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ؛ إلّا بطيبَةٍ مِنْ نَفْسِهِ) هذا لفظ حديث النّبي ﷺ:"لا يحلّ مال امرئ مسلم إلّا بطيب نفس منه"[2]، فالأصل تحريم مال المسلم، وكما قال عليه الصّلاة والسّلام :" إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا "[3]، فالأصل حرمة مال المسلم؛ فلا يجوز أن يُعتدى عليه بأيّ طريقة من طرق الاعتداء؛ وهذا الأصل تضعه نُصب عينيك، ثمّ بعد ذلك: لا يُستثنَى إلّا ما ورد به الدليل.

1- أخرجه أحمد(1629)، وأبو داود(4649)، وابن ماجه(133) عن سعيد بن زيد رضي الله عنه.

2- أخرجه أحمد(20695) عن أبي حرة الرقاشي عن عمه. وأخرجه أحمد(21082) عن عمرو بن يثربي. انظر "الإرواء" (1459)

3- أخرجه البخاري(1739) عن ابن عباس

قال: (وإنْ كانَ مَعَ رَجُلٍ مالٌ حَرامٌ؛ فَقَدْ ضَمِنَهُ، لا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ منْهُ شيئاً إلّا بِإذْنِهِ)،
يعني هنا إذا أخذ مال أخيه بغير حق- بأيّ نوع من أنواع الأخذ-؛ فإنّه مضمون عليه،
شخص سرق سيّارة جاره وأبقاها عنده، تلِفت السيّارة بأيّ طريقة من طرق التّلَف؛
يضمن السيارة؛ يدفع ثمنها كامِلاً، إذا اغتصبَ داراً وأجّرها مثلاً، أو هذه الدّار لها أجرة،
وبقيت عنده سنة أو سنتَين؛ يضمنُ الدّار ويضمن أجرتَها أيضاً، فإذا أخذ مالاً من أخيه
ظلماً؛ فهو ضامن لهذا المال؛ هذا معنى ما قاله المؤلّف.
قال: (وإن كان مع رجل مالٌ حرام فقد ضَمِنه؛ لا يحلّ لِأحد أن يأخذ منه شيئاً إلّا بإذنه؛
فإنّه عسى أن يتوب هذا فيُريد أن يَرُدّه على أربَابه؛ فأخذتَ حراماً)
يعني لا يجوز لأحد أن يأخذ من شخص مالاً، علِم أن هذا المال حرام وليس له- هو مسروق أو
مغصوب- فلا يجوز لك أن تأخذه منه؛ لأنه ليس له، فلا يجوز لأحد أن يتصرّف في ملك الغير،
لا يجوز لك أن تأخذ مالاً تعلم أنّه حرام، ترِد أسئلة كثيرة؛ يقول لك: "المال مسروق وجاء
أناس لبَيْعه؟"
أنت إذا علِمت أنّه مسروق؛ فقد علِمت أنّ الذي يبِيعه ليس مالكَه؛ ليس هو مِلك له، ولا يحلّ
لك أن تشتري مالاً من غير صاحبه؛ فهذا المال الذي بين يديه هو مُلكٌ لمسلم آخر؛ فكيف
ستشترِي من هذا؟! هذا لم يملكه؛ هو حرام عليه؛ فلا يجوز لك أن تشتري مِنه إذا علِمت أنّ
المال مسروق أو مغصوب.

قال المؤلف: ([123] والمكاسِبُ ما بانَ لكَ صِحَّتُهُ؛ فَهُوَ مُطْلَقٌ؛ إلّا ما ظَهَرَ فَسادُهُ، وإنْ كانَ
فاسِداً؛ يَأْخُذُ مِنَ الفَسادِ مَمْسَكَةَ نَفْسِهِ، ولا تقولُ: أتْرُكُ المَكاسِبَ وآخُذُ ما أَعْطَوْني؛ لَمْ
يَفْعَلْ هذا الصَّحابَةُ، ولا العُلماءُ إلى زماننا هذا، وقال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه:
"كَسْبٌ فيه بَعْضُ الدَّنِيَّةِ؛ خَيْرٌ مِنَ الحاجَةِ إلى النَّاسِ")
قال النبي ﷺ:"إنَّ الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبِهات لا يعلمُهنّ كثير من النّاس،
فمن اتّقى الشبهات؛ استبرأ لدينه وعرضه"[1]، فالحلال بيّن، يؤخذ:

1- أخرجه البخاري(52)، ومسلم(1599) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم.

- **الأصل في المعاملات بين الناس: الحِلّ.**
- **والأصل في العبادات: التّحريم.**

قاعدتان إذا حفِظهما طالب العلم؛ فقد حفِظ الكثير من المسائل العلميّة:

- **الأصل في المعاملات الحِلّ:**

يعني عندما تأتي في معاملة، وتقول لي: هل تجوز هذه المعاملة؟

أقول لك يجوز؛ لا تطلب الدليل كما يفعل البعض؛ تقول له: والله تجوز هذه المعاملة؛ يقول أيش الدليل؟! الأصل عندك هو الدليل؛ الأصل في المعاملات هو الحلُّ؛

خاصة إذا كان بيعاً وشراء؛ فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[1] إذاً يوجد عندك أصل وهو: أنّ كل بيع حلال ؛ إلّا إذا أثبَتَ دليل على تحريم نوع من أنواع البيع، الأصل في كل ما هو مَوجود في هذه الدّنيا؛ تأكُل، تشرَب، تلبَس؛ الأصل فيه الحِل؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[2] فكل ما في الأرض حلٌّ لك؛

هذا أصل عام عندك، أنت تسأل: هل اللّحم الفلاني حلال أو حرام؟ أقول لك: حلال؛ لا تقلْ: أيش الدليل! لأنّ عندك أصلاً تمشي عليه، حين أقول لك: حرام؛ تقول لي: ما الدليل؛ لأنّي أخرجتك عن الأصل.

هنا يقول المؤلف: (**وإن كان فاسداً يأخذ من الفساد ممْسَكة نفسه**)

يعني إذا وجِد مال حرام؛ فعند الضرورة: تأخذ ما يكفي ضرورتك منه، وتترك الباقي.

قال: (**ولا تقول: أترُك المكاسب**)؛ يعني لا تقول: والله أنا أتوكّل على الله؛ لا داعي أن أخرج للعمل ولا شيء؛ وأجلس أضع رجلاً على رجلٍ، وأنتظر رزق الله يأتيني!

هذا ليس بتوكّل على الله سبحانه وتعالى؛ إنما هذا يسمّيه العلماء: تواكل؛ لأنّك مأمور بطلب الرزق، مأمور بالسّعي في طلب الرزق، فأنت تأخذ بالأسباب، والله سبحانه وتعالى يرزق: "لو

1-[البقرة:275]

2- [البقرة:29]

أنّكم توكّلون على الله حقّ توكّله لَرزقكم كما يرزق الطّير" ماذا تفعل الطير؟ قال: "تغدوا خِماصاً وتروح بطاناً"[1]، إذاً تغدوا أم لا تغدوا؟

تغدوا؛ تأخذ بالأسباب، حتى الطّير تخرج وتأخذ بالأسباب.

تغدو خماصاً: تخرج جائعة،

وتروح بِطاناً: ترجع شبعانة

لكن غدتْ؛ راحت ورجعت، ما جلست في مكانها؛ قالت يأتيني رزقي! هذا ليس بتوكّل على الله سبحانه وتعالى!

تَوَكَّلْ على الله، أمرك الله سبحانه وتعالى أن تتوكّل على الله.

ومعنى التوكّل: أن تعتمد بقلبك على الله، وأن تعلم أنّ الله هو الرّزاق؛ لا يرزقك صاحب العمل؛ بل يرزقك الله سبحانه وتعالى، أنت تُوطِّن نفسك على أنّك أنت تأخذ بالأسباب؛ لأنّ الله أمرك بالأخذ بالأسباب فقط، أمّا بعد ذلك ماذا سيأتيك من رزق؛ فهذا عند الله سبحانه وتعالى.

بعض النّاس يلتبس عليه؛ يقول: والله أنا طالب علم؛ جالس واضعاً رجلاً على رجل، ويريد أن يأتيه رزقه عنده.

طلب العلم نفسه هو أخذ بالأسباب، في الحديث الذي جاء رجل وشكا للنّبي ﷺ بأنه يعمل ويُنفق على أخيه، وأخوه جالس يطلب العلم فقط؛ ما أنكر النبي ﷺ على الآخر؛ قال: "لعلّك تُرزقُ بأخيك"؛ هذا كان جوابه عليه الصّلاة والسّلام، فطلب العلم نفسه هو أخذ بالأسباب، والأصل عندنا- لو وُجِدَتْ إمكانيات- المفروض: طلبة العلم لا يعملون، طلب العلم يحتاج أن يدرس طالب العلم أقل شيء ثمان إلى عشر ساعات في اليوم، هذا أقل شيء، هذا إذا لم يرد أن يدرس؛ فيدرس هذا الوقت؛ فمتى سيعمل؟!

هذا عمله أعظم عمل؛ هذا يسدّ واجباً كفائياً على الأمّة بالكامل، إذا لم تقُم به: أثِمَت كلّها؛ فهذا طالب العلم الذي يتعلّم ويُعلّم النّاس؛ قد سدّ عليْهِم هذا الباب؛ هذا الواجب؛ خصوصاً في زماننا هذا الذي عزف فيه النّاس عن طلب العلم الشّرعي.

1- أخرجه أحمد(205)، والترمذي(2344)، وابن ماجه(4164) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (310).

قال: (ولا تقول: أترُك المكاسب وآخذ ما أعطَوْني)

يعني تقعد عالة على النّاس! أترك المكاسب وأضع رجلاً على رجل ويعطوني.

قال: (لم يفعل هذا الصحابة، ولا العلماء إلى زماننا هذا)

لم يفعلوا ذلك؛ لم يجلس الواحد فيهم، ويقول: ما أعطوني آخذه؛ إلّا من كان يجلس لِأجل طلب العلم؛ كان أبو هريرة يجلس عند النبي ﷺ على شبع بطنه، ما كان يعمل؛ لكن كان يُرافق النّبي ﷺ؛ هذا لطلب العلم، هذا شيء مُستثنى؛ طلبُه للعلم هذا عمل.

لكن الآن غير طالب العلم الشرعي؛ هذا لا يجلس ويقول: والله ما آتاني النّاس أخذتُه.

حتى عندما كان أهل اليمن يأتون إلى الحجّ وما يأخذون زاداً معهم؛ لا يتزوّدُون، قالوا: نحن المتوَكّلون؛ نتوكّل على الله سبحانه وتعالى! فكانوا يأتُون إلى مكّة ويطلبون من النّاس؛ أين ذهبنا؟ هذا لا ينفع! فنزل قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[1] أمرهم بالتزوُّد؛ الأخذ بالأسباب.

قال: (وقال عمر رضي الله عنه: "كَسْبٌ فيه بعض الدَّنيّة خير من حاجة النّاس")

بعض الدنية يعني: أن النّاس يرَون أنّ فيه شيئاً من الوضاعة، يعني كالذي يشتغل أي عمل لا نريد أن نسمّيه؛ أيّ عمل يراه النّاس أنّه دنيّ؛ فيقول لك: اعمل في أي عمل مثل هذا؛ تراه أنه دنيء؛ خير لك من أن تحتاج إلى النّاس.

قال: ([124] والصلّوات الخمس جائزة خلف من صلّيت خلفَه إلّا أن يكون جَهْمِيَّاً؛ فإنّه مُعَطِّلٌ، وإنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ؛ فَأعِدْ صَلاتَكَ، وإن كان إمامُكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ جَهْمِيَّاً وَهُوَ سُلْطانٌ؛ فَصَلِّ خَلْفَهُ، وأَعِدْ صَلاتَكَ، وإنْ كانَ إمامُكَ مِنَ السُّلْطانِ وَغَيْرِهِ صاحِبَ سُنَّةٍ؛ فَصَلِّ خَلْفَهُ، ولا تُعِدْ صَلاتَكَ)

هنا الآن مسألة حصل فيها خلاف بين أهل العلم؛ وهي الصّلاة خلف المبتدع.

البدعة قسمان: بدعة مكفّرة، وبدعة غير مكفّرة.

1- [البقرة:197]

- **البدعة المكفرة**: لا تصَلّ خلفه، قولاً واحداً؛ لأنّه كافر، فصّلاتُك خلفه باطلة؛ غير صحيحة.
- **البدعة غير المُكفّرة**: هي الآن محل النّزاع؛ بعض العلماء: منع الصّلاة خلف المبتدع مُطلقاً،

وبعضهم قال: يجوز الصّلاة خلف المبتدع؛ والقول الثّاني هو الصّحيح؛ أن تصلّي خلفه مجرّد صلاة ولا تسمع منه محاضرة ولا كلمة؛ هذا جائز، والسّبب:

أنّ القوم الذين جاؤوا لِقتل عثمان عند محاصرته؛ كانوا هم الذين يُصلّون بالنّاس؛ فجاء أحد المسلمين إلى عثمان رضي الله عنه، واستأذنه؛ قال: "يؤمّ بنا إمام فتنة؛ فماذا نفعل؟

فقال: الصّلاة خير ما يفعل النّاس، فإذا أحسنوا؛ فأحسِنوا معهم، وإذا أساؤوا؛ فاجتنبوا إساءتهم".

من هنا أخذ من أخذ من العلماء جواز الصّلاة خلف المبتدع، لكن أنت تحرِص على أن تصلّي خلف السّنّي، فإن صلّيت خلف المبتدع؛ فصلاتك صحيحة ولا تُعِد.

لكن إن صلّيْت خلف الجهمي؛ فالجهمي كافر؛ فيجب عليك أن تعيد، لكن إن كان هذا الجهمي إماماً؛ يعني سلطاناً؛ حاكماً؛ وربّما إذا خرجت من خلْفه أحدثْت فتنة، وربّما قُطعَت رقبتُك؛ فقال: تصلّي خلفه ثمّ تُعيد في بيتك؛ كما أمر النّبي ﷺ عندما قال: إنه سيأتي أئمة يؤخرون الصلاة عن وقتها، قال: "تصلي معهم وتجعلها نافلة ثم تعيد الصلاة[1]"، وهنا لا نقول تجعلها نافلة؛ لأن الصّلاة خلف الكافر لا تصحّ أصلاً؛ إلّا أن تنوي أن تصلّي مُنفرداً؛ لكن تعيد الصّلاة ولابد؛ لأنّ الصّلاة خلفه باطلة إذا كان كافراً؛ هذا هو التفصيل في هذه المسألة؛ وهي الصّلاة خلف المبتدع.

وقلنا: المبتدع على قسمين:

- مبتدع بدعة كفريّة،
- ومبتدع بدعة غير كفريّة

المبتدع بدعة كفريّة: هذا لا يصلّى خلفه،

1- أخرجه مسلم (648) عن أبي ذر؛ قال لي رسول الله : "كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟ - أَوْ - يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟» قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ، فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ"، واللفظ الآخر: " قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَضَرَبَ فَخِذِي: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بَقِيتَ فِي قَوْمٍ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟» قَالَ: قَالَ: مَا تَأْمُرُ؟ قَالَ: «صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، ثُمَّ اذْهَبْ لِحَاجَتِكَ، فَإِنْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَأَنْتَ فِي الْمَسْجِدِ فَصَلِّ".

أمّا المبتدع بدعة غيركفريّة؛ فهذا تجوز الصلاة خلفه.

لكن صلاة الجمعة ستلزمك بأن تسمع للمبتدع،

وقد قلنا: غير جائز أن تسمع للمبتدعة؛

لذلك لا يجوز أن تتعمّد الصّلاة يوم الجمعة خلف المبتدع حتّى لا تستمع إلى شبهاته،

وإن حصل ووقعت في هذا الموقف ودخلت ووجدت الإمام مبتدعاً؛ فاشغل نفسك بالتّسبيح ولا تسمع له؛ هذا ما أفتى به العلماء؛ قالوا: تشغل نفسك بالتّسبيح.

لماذا؟

قالوا: لأنّك مأمور أن تأتي إلى المسجد لسماع ذكر الله ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[1]، وهذا المبتدع لا يذكر الله وإنّما يذكر شبهات وبدع وضلالات، وهذا ليس من ذكر الله؛ قالوا: لذلك تشغل نفسك أنت بذكر الله. والله أعلم

1 - [الجمعة:9]